

مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

٣٨٤ - ٤٥٨

بمحقق
السيد أحمد مدني

الجزء الأول

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الملك لله وسالعمون الرحمن الرحيم
ملك يوم الدين
انا كعبك وانا كعبك
اهدنا الصراط المستقيم
صراطك الذي لا نعيم عليه
غير المعطون عليه ولا الضالين

بسم الله الرحمن الرحيم

شفف البيهقي بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنفق حياته في تحصيلها ودرسها وإيصالها نقية بيضاء إلى أبناء الإسلام الذين افترض عليهم ربهم أن يأخذوا ما آتاهم الرسول ، وأن ينتهوا عما نهىهم عنه ، والذين أمرهم رسولهم الكريم أن يبلغوا عنه مقاله إلى من بعدهم لتكون كلمة الله وكلمة رسوله باقية على وجه الزمان؛ تنذير للمسلمين سبيلهم ، وتذير على الحق أعمالهم وأقوالهم ، وتجمع قلوبهم على عبادة من خلقهم ورضى لهم الإسلام دين عزة وسعادة في الدنيا والآخرة .

* * *

وقد دفعه هذا الشفف العظيم إلى العناية بآثار الشافعي : ناصر السنة ، ومؤسس فقها ، وفاتح أقالها ، والذي شهد له أعلام العلماء بأنهم ما عرفوا فواقته السنة إلا بعد أن استخرج مكنونها ، واستنبط فنونها ، وجلى دقائقها ببيان المشرق المشرق ، وأسلوبه الجزل الرصين .

وما كانت عناية البيهقي بآثار الشافعي وايدة الخطرة العابرة ، والفكرة السائرة ، والنظرة الطائرة ، بل كانت وليدة التأمل الوثيق ، والتفكير العميق ، والاعتبار الدقيق ، والمقايسة بين ما كتبه أعلام الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة ، وبنوا مذاهبهم على مبلغ علمهم من كتاب الله ، وسنة رسول الله .

وقد انتهت تلك المقايسة بالبيهقي إلى عرفانه أن الشافعي أكثر الأئمة اتباعا ، وأقواما احتجاجا ، وأصحهم قياسا ، وأبينهم بيانا ، وأفصحهم لسانا ،

وأوضحهم إرشادا فيما صنف من كتب في الأصول والفروع جميعا .

ولما فرغ البيهقي من تصنيف مصنفاته في السنة ألف كتابا عن منشى السنة وهو كتاب « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم » .

ولما انتهى من ترتيب كتب الشافعى وتصنيفها وتخرج أحاديثها رأى كذلك أن يخص الشافعى بكتاب ، وقوى من عزمه أن بعض أصحابه اقترح عليه تأليف هذا الكتاب ، وفى ذلك يقول : « وقد سألنى بعض أصحابنا من أهل العلم والبصيرة أن أجمع كتابا مشتملا على ذكر مولد الشافعى ونسبه ، وتعلمه ، وتعليمه ، وتصرفه فى العلم ، وتصانيفه ، واعتراف علماء دهره بفضله ، وما يستدل به على كمال عقله ، وزهده فى الدنيا ، وورعه ، واشتهاره بخصال الخير ومكارم الأخلاق - فى وقته وبمد وفاته - فأجبتة إلى مسألته ؛ اقتصارا منى فى ذكر معرفته بالفقه ، وحسن مناظرته على تسمية تصانيفه ، وطرف من حكاياته دون ذكر كيفية تصرفه ؛ فإن العلم به إنما يقع بالنظر فى كتبه المصنفة فى أصول الفقه ثم فى « المبسوط » المردود إلى ترتيب المختصر ، ثم فى « السنن » حتى خرجها على مسائل « المبسوط » فى مائتى جزء وأكثر ، ثم بالنظر فى كتاب « معرفة السنن والآثار » الذى أوردت فيه كلام الشافعى على الأخبار ، بالجرح والتعديل ، والتصحيح والتعليل فى سبعين جزءا ، ثم فى كتاب « المدخل » المخرج على أصوله

فيستدل بذلك على صحة أصول الشافعى ، وحسن بنائه الفروع عليها ، موافقا لشريعة المصطفى فى اتباع الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وآثار

الصعابة ، والقياس على ما ثبت بأحد هذه الأصول .

وقد اعترف البيهقي بأنه قد سبق إلى التأليف في هذا الموضوع حيث يقول :

« وقد صنف جماعة من أهل العلم في فضل الشافعي ، ومناقبه كتباً مشتملة على ذكر ما نقل إليهم من أحواله الجميلة ، وأقواله الحسنة ، وأفعاله الحمودة ، وما خص به من الجمع بين علم الأصول والفروع في أحكام الشريعة ، ومشاركة غيره في سائر أنواع العلوم » .

ولم يكن البيهقي في حديثه هذا بسبيل ذكرها وذكر أصحابها ، ولكنه كان يريد الاستشهاد بما ذكره على صحة جواز أن يكون الشافعي هو المراد بمحدث عالم قريش ؛ لأن الشافعي كما قال : « قد صنف الكتب ، وفقى العلم ، وشرح الأصول والفروع ، وعلا في الذكر بما ألف وشرح ، وفتح الله على لسانه العلم الكثير ، ومر في آذان السامعين ، ووعته القلوب ، فازداد على مر الأيام حسناً وبيانا » .

ولكن البيهقي قد ذكر في ثنايا الكتاب : الكتب المصنفة في فضائل الشافعي التي روى عنها أو قرأها ، وهي :

(١) كتاب أبي سليمان : داود بن علي الأصفهاني ، إمام أهل الظاهر (٢٠١ - ٢٧٠) .

(٢) « أبي عبد الله : محمد بن إبراهيم البوشنجي ، المالكي (٢٠٤ - ٢٩٠) »

(٣) « أبي يحيى : زكريا بن يحيى الساجي المتوفى سنة ٣٠٧ »

(٤) « أبي محمد : عبد الرحمن بن أبي حاتم (٢٤٠ - ٣٢٧) »

(٥) كتاب أبي الحسن : محمد بن الحسين الأبري للعاصمي . المتوفى سنة ٣٦٣

قال السبكي عنه : وهو كتاب حافظ رتبة على أربعة وسبعين بابا .

(٣٨٠ - ٣٢٦)

(٦) كتاب صاحب بن عباد

(٣٨٨ - ٣١٦)

(٧) » أبي منصور : محمد بن عبد الله بن حمشاذ

(٨) » أبي بكر : محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا اللشيباني المتوفى سنة ٣٨٨

(٩) » الحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف

بابن البيع ، قال عنه ابن السبكي : وهو مصنف جامع (٤٠٥ - ٣٢١)

(١٠) كتاب أبي القاسم : حمزة بن يوسف النهدي المتوفى سنة ٤٢٧

(١١) » أبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠

وقد ألفت في مناقب الشافعي قبل البيهقي أو في عصره كثير من العلماء -

عدا هؤلاء ، لكن لم يشر إليهم البيهقي في هذا الكتاب ومنهم :

(١) أبو حاتم : محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح (المتوفى سنة ٣٥٤)

(٢) أبو علي : الحسن بن الحسين بن حنكان الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٥٠)

(٣) أبو عبد الله : محمد بن أحمد شاكر القطان (المتوفى سنة ٤٠٧)

(٤) إسماعيل بن محمد السرخسي للقرب (المتوفى سنة ٤١٤)

(٥) أبو منصور : عبد القاهر بن طاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٨)

(٦) أبو عبد الله : محمد بن سلامة المصري (المتوفى سنة ٤٥٤)

وقد ألفت أبو الحسين : محمد بن عبد الله الرازي (المتوفى سنة ٣٤٧)

والد تمام الرازي (٣٣٠ - ٤١٤) كتابا مستقلا فيمن روى عن الشافعي ،

ولكن البيهقي لم ينقل عنه ، وإنما نقل عن كتاب « أسامي من روى عن الشافعي » للدارقطني .

* * *

بدأ البيهقي كتابه ببيان فضل أهل الحديث ، وأنهم الطائفة القائمة على إحقاق الحق حتى تقوم الساعة ، كما وعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .
ثم تحدث عن فضل قريش وما جاء في تخصيصها بالتقديم والاتباع ، وأن الشافعي هو المشار إليه بحديث النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن عالم قريش يملأ طبق الأرض علما .

ثم تحدث عما جاء في تخصيص بني هاشم بالاصطفاء وبني المطلب الذين ينتمى إليهم الشافعي ، وتفضيل أهل اليمن بالإيمان ، والفقهاء ، والحكماء .
ثم فصل القول في حديث : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » وتأويل بعض العلماء لهذا الحديث بأن الذي جاء على رأس المائة الثانية هو الشافعي .

ثم نقد البيهقي العلماء الذين ظفروا بالوجاهة والعز والثروة عند الرؤساء ، ونالوا من الشافعي ، ورموه بأنه كان قليل العلم بالكتاب ، وأنه لم يكن من أهل الاجتهاد ، وأعقبه بالحديث عن آذى قرابة الرسول أو أراد هوانهم ، ثم بين سبب تأليفه للكتاب .

وتحدث بعد ذلك عن مولد الشافعي ، ومكان ولادته ونسبه ، وأفاض القول في ذلك إفاضة شافية مقنعة .

ثم تحدث عن تعليم الشافعي ، وما روى في اشتغاله بتعلم الأدب والشعر وعن رحلته وهو ابن ثلاث عشرة سنة إلى مالك بن أنس بالمدينة .
ثم بين خروج الشافعي إلى اليمن وولايته بعض أعمالها ، ومقامه فيها حتى

اتهم بالاشتراك في مؤامرة بعض العلويين بها ، وحمله إلى الرشيد وحجبه ببغداد ، وما كان بينهما من محاورات ومراجعات انتهت بعفو الرشيد عنه ، وإكرامه له .

ثم أسهب في بيان المناظرات الرائعة ، والمحاورات العلمية الشائقة ، التي جرت بين الشافعي وبين محمد بن الحسن الحنفي في مجلس الرشيد ، وفي غيره من المجالس بمدينة بغداد ومدينة الرقة ، وأن الرشيد كُتِبَ له بخبر تلك المناظرات التي ظهر فيها الشافعي على محمد ، وقطع حججه ، وطبع على فمه بخاتم الصمت ، فأعجب الرشيد بموقف الشافعي الهاشمي ، وقال : « وما يُفكر لرجل من عبد مناف أن يقطع محمد بن الحسن ؟ » وأمر له بجائزة ، ورغب إليه في أن يلازمه ، كما رغب إليه المأمون في ذلك .

ثم بين مكانة الشافعي عند الرشيد والمأمون ، وعودة الصفاء والإخاء بين الشافعي ومحمد بن الحسن ، وكتابة الشافعي الكتب محمد ، وتأليف الكتاب البغدادي للرد على الأحناف ، ورأي الشافعي وغيره في أبي حنيفة وأصحابه .

ثم تحدث عن صحة نية الشافعي ، وقصده الجميل في تأليفه لكتبه ، وحسن مناظرته لمن خالفه ، وغلبته كل من ناظرة بالعلم والبيان ، وذكر نماذج رائعة من تلك المناظرات .

وخلص من هذا إلى الحديث عن دخول الشافعي العراق أيام المأمون للتدريس والتعليم . ثم تحدث عن سبب تصنيف الشافعي لكتاب « الرسالة القديمة » ثم في ذهاب الشافعي إلى مصر ، وتصنيفه بها الكتب المصرية الجديدة . وذكر البيهقي في صدر هذا أن الربيع بن سليمان لقيه بمدينة « نصيبين » قبل أن

يدخل مصر ، وقال عنه : كان الشافعي يعمل الباب من العلم ثم يقول : يا جارية قومي إلى القَدَاح فتقوم ؛ فتسرج له ، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه ويرسمه في موضعه ، ثم يعلق السراج ويستقي على ظهره فيعمل الباب من العلم وهكذا ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو تركت السراج يَقدُ ؛ فإن هذه الجارية منك في جهد ؟ فقال : إن السراج يشغل قلبي .

وقال لي يوما : كيف تركت أهل مصر ؟

فقلت : تركتهم على ضربين : فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك ، وأخذت به ، واعتمدت عليه ، وذبت عنه وناضلت . وفرقة قد مالت إلى قول أبي حنيفة ، فأخذت به ، وناضلت عنه .

فقال الشامي : أرجو أن أقدم مصر - إن شاء الله - وآتيهم بشيء وأشغلهم به عن القولين جميعا .

قال الربيع : ففعل ذلك - والله - حين دخل مصر .

ثم روى البيهقي عن بحر بن نصر الخولاني أنه قال :

قدم الشافعي من الحجاز ، فبقي بمصر أربع سنين ، ووضع هذه الكتب في أربع سنين . . وكان يضع الكتب بين يديه ويصنف ، فإذا ارتفع له كتاب جاء صديق له يقال له : « ابن هرم » فيكتب ، ويقرأ عليه « البويطي » وجميع من يحضر يسمع في « كتاب ابن هرم » ثم ينسخونه بعد . وكان « الربيع » على حوائج الناس فرما غاب في حاجة ، فيعلم له ؛ فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاتته . ثم عقد بابا عظيما ذكر فيه عدد ما وصل إليه من مصنفات الشافعي ؛ فذكر من الكتب التي تجمع الأصول وتدل على الفروع ثلاثة عشر كتابا ، ثم قال :

« ومن الكتب التي هي مصنفة في الفروع وهي التي تعرف « بالأم »
في الطهارات : كتاب الوضوء والتميم . . الخ وفي الصلوات والزكوات
والصيام ، والحج ، والمعاملات ، والإجازات ، والعطايا ، والوصايا ، والفرائض
وغيرها ، والأنسكة ، والجراح ، والحدود ، والسير والجهاد ، والأطعمة
والقضايا والعقوبات وغيره .

وذكر تحت كل عنوان من هذه العناوين الكتب التي ألفها الشافعي فيها ،
ثم قال : « فذلك مائة ونيف وأربعون كتابا » .

وهذا الباب من أهم أبواب الكتاب ؛ لأنه بين فيه الكتب الأخرى
— عدا ماسبق — والتي أملاها على أصحابه ورواها عنه الربيع بن سليمان المرادي ،
وبين الكتب التي لم يسمعها الربيع من الشافعي ، والتي يقول فيها : « قال
الشافعي رحمه الله . كما بين فيه كتب الشافعي التي ألفها في القديم ، ورواها عنه
الحسن بن محمد الزعفراني ، والكتب التي أعاد تصنيفها في الجديد ، والكتب
التي أمر بتمزيقها ، لتغير اجتهاده فيها ، والكتب الأخرى التي رواها عنه
الحسين الكرايسي ، وأحمد بن يحيى الشافعي البغدادي : أبو ثور ، وأحمد
ابن حنبل ، والحميدي ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم
وابن مقلص ، والربيع بن سليمان الجيزي — وهو غير المرادي — والحارث
ابن سريج النقال ، والحسين الفلاس ، وبجر بن نصر ، وغيرهم .

ومن أجل ما في هذا الباب قول الشافعي :

« ألفت هذه الكتب واستفرغت فيها مجهودي ، ووددت أن يتعلمها الناس
ولا تُفَسَّبَ إلي » .

ثم عقد باباً ذكر فيه ما يستدل به على رغبة العلماء في عصر الشافعي ومن
بعد عصره في كتبه ، والاقتباس من علمه ، والانتفاع به ، وحسن الثناء عليه .
وصدوره بقوله : « وذلك لانقراده من فقهاء الأمصار بحسن التأليف ؛ فإن حسن
التصنيف يكون بثلاثة أشياء :

أحدها : حسن النظم والترتيب .

والثاني : ذكر الحجج في المسائل مع مراعاة الأصول .

والثالث : تحري الإيجاز والاختصار فيما يؤلفه .

وكان قد خص بجميع ذلك ، رحمة الله عليه ورضوانه »

وذكر في هذا الباب قول الجاحظ : « نظرت في كتب هؤلاء التبعة الذين
نبغوا ، فلم أر أحسن تأليفاً من المطالبي ، كأن فاه نظم دُرّاً إلى درة » .

ثم ذكر ما يستدل به على حفظ الشافعي لكتاب الله ، ومعرفته بالقراءات ،
وحسن صوته بالقراءة . وجعل الباب الذي يليه فيما يستدل به على معرفة الشافعي
بتفسير القرآن ، ومعانيه ، وسبب نزوله .

ثم أتبعه بباب ما يستدل به على معرفة الشافعي بمعاني أخبار رسول الله .
وقد بدأه بقول أحمد بن حنبل : ما كان أصحاب الحديث يعرفون معاني حديث
رسول الله حتى قدم الشافعي فبينها لهم .

وهو باب عظيم أتى فيه البيهقي بمثل رائعة تدل على أن الشافعي كان -
كما قال يونس بن عبد الأعلى - نسيج وحده في هذه المعاني .

ثم أعقب ذلك بباب ما يستدل به على فقه الشافعي ، وتقدمه فيه ، وحسن

استنباطه . وقد أورد البيهقي في هذا الباب حديث النعمان بن بشير : أنه أتى رسول الله وقال له : إني نحت ابني هذا غلاما كان لي ، فقال صلى الله عليه وسلم : أكلَ ولدك نحت مثل هذا؟ فقال : لا ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجه .

وقول الشافعي فيه : « حديث النعمان حديث ثابت ، وبه نأخذ ، وفيه دلالة على أمور .

ومن هذه الدلالات التي ذكرها الشافعي قوله : « وفيه دلالة على أن نُحَلَ الوالد بعض ولده دون بعض جائز ، من قبل أنه لو كان لا يجوز كان أن يقال : إعطاؤك إياه وتركه سواء ؛ لأنه غير جائز ، وهو على أصل ملكك الأول — أشبه من أن يقال : ارجعه . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فارجه » دليل على أن للوالد رد ما أعطى الولد ، وأنه لا يخرج بارتجاعه . وقد روى أن النبي قال : « أشهد غيري » وهذا يدل على أنه اختيار .

وقد خالفت قول الشافعي هذا وعلمت عليه بقولي ٣٤٧/١ كيف يكون هذا على الاختيار وقد عدّه صلى الله عليه وسلم جوراً؟ الخ

ثم ذكر البيهقي بابا يستدل به على معرفة الشافعي لأصول الفقه ، وهو باب عظيم ، لأن للشافعي أول من صنف في أصول الفقه .

وبمجيئ من نصوصه قول الشافعي :

« وضع الله نبيه من دينه وأهل دينه موضع الإبانة عن كتاب الله — معنى ما أراد ، وفرض طاعته . . . فعلم الحق كتاب الله ، ثم سنة نبيه :

فليس لفتٍ ولا لحاكم أن يفتى ولا يحكم حتى يكون عالماً بهما ، ولا أن يخالفهما ولا واحداً منهما بحال ، فإذا خالفهما فهو عاص لله به ، وحكمه مردود .

ثم ذكر باب ما يستدل به على معرفة الشافعي لأصول الكلام وصحة اعتقاده فيها . فذكر ما يؤثر عنه في الإيمان ، وفي دلائل التوحيد ، وفي أسماء الله ، وصفات ذاته ، وأن القرآن كلام الله ، وكلامه من صفات ذاته ، وإثبات المشيئة لله ، وإثبات القدر ، وخلق الأفعال ، وعذاب القبر ، وإثبات رؤية الله في الدار الآخرة .

ثم ما يؤثر عن الشافعي في تفضيل النبي على جميع الخلق ، وإثبات الشفاعة صلى الله عليه وسلم .

وما يؤثر عنه في الذنوب التي هي دون الكفر ، وما يلحق الميت من فعل غيره .

وما يؤثر عنه في خلفاء الأربعة ، وفي جملة الصحابة ، وفي قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أهل القبلة .

ثم ما جاء عن الشافعي في مجانبة أهل الأهواء وبفضه إياهم ، ودم كلامهم ، وإزرائه بهم ودفعه عليهم في مناظرته إياهم .

وهو فصل بالغ الأهمية .

ثم عقد البيهقي باباً في الاستدلال على حسن اعتقاد الشافعي في متابعة السنة ، ومجانبة البدعة .

ومما رواه البيهقي فيه من كلام الشافعي :

« ما من أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ، وتعزُّبُ عنه ، فهم ما قلتُ من قول ، أو أصَلْتُ من أصل - فيه عن رسول الله خلاف ما قلتُ - فالقول ما قال رسول الله ! وهو قولي ! » .

ثم عقد بابا عنوانه : ما يستدل به على معرفة الشافعي برجال الحديث .

ذكر فيه ما يستدل به على معرفة الشافعي بأسماء الرواة ، وأنسابهم ، وتواريخهم ، وجرحهم وتعديلاتهم .

وهو باب جم المنافع ، عظيم الفائدة ؛ دل على سعة أفق الشافعي في هذا المضمار ، ومدى تمكُّنه منه ، واقتداره عليه .

ومن الفوائد التي تُجتنى من هذا الباب : أن الشافعي وضع كتابه على مالك ابن أنس ؛ لأنه بلغه أن بالأندلس قلنسوة للملك يستسقى بها ! وأنه كان يقال للأندلسيين : قال رسول الله . فيقولون : قال مالك !

ومن أجل ذلك قال الشافعي : إن مالكا آدمى يخطئ ويغلط .

وبلى ذلك باب جليل القدر ، عظيم الخطر ، وهو باب ما يستدل به على معرفة الشافعي بصحة الحديث وعائلته .

وباب آخر فيما يستدل به على إتقان الشافعي في الرواية ، ومذهبه في قبول الأخبار ، واحتياطه فيها .

ثم عقد بابا فيما يستدل به على فصاحة الشافعي ، ومعرفته باللغة والشعر الذي هو ديوان العرب . أورد فيه قول أحمد بن حنبل :

« الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة ، واختلاف الناس ،
والمعانى ، والفقه » .

وقول الربيع : أقام الشافعى على قراءة العربية وأيام الناس عشرين سنة ،
وقال : ما أردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه .

وقول أبى عثمان المازنى : « الشافعى عندنا حجة فى النحو » .

وقول الأعمى : « صححت أشعار المهذلين على شاب من قرش بمكة
يقال له : محمد بن إدريس الشافعى » .

وقول الربيع : « كان الشافعى عربى النفس ، عربى اللسان ، ولو رأيت
وحسن بيانه وفصاحته لتعجبت منه ، ولو أنه ألف هذه الكتب — على
عربيته التى كان يتكلم بها — لم يُقدر على قراءة كتبه » .

ثم ذكر بابا للشعر الذى أثر عن الشافعى أنه أنشده لنفسه أو لغيره
وأعقبه بباب ما يستدل به على معرفة الشافعى بالطب ، أورد فيه قول حرمة
ابن يحيى : كان الشافعى يتلف على ماضيع المسلمون من الطب ، ويقول :
ضيعوا ثلث العلم ، ووكوه إلى اليهود والنصارى !!!

وتلاه باب ما يستدل به على معرفة الشافعى بالنجوم ، وما يؤثر عنه فى
الفراصة ، وإصابته فيها . ثم معرفته بالرمى والفروسية وذكر فيه قول الربيع :
كان الشافعى أفرس خاق الله وأشجعه ، وكان يأخذ بأذنه وأذن الفرس ،
والفرس يعدو ، فيثب على ظهره وهو يعدو .

* * *

ثم ذكر باب ما يؤثر عنه فى فضل العلم والترغيب فى تعلمه وتعليمه
والعمل به . ومن أطف ما جاء فى هذا الباب قول الشافعى :

لو أن أهل كورة اجتمعوا على ترك طلب العلم ، لرأيت للحاكم
أن يجبرهم على طلب العلم .

وقواه : ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم .

وقوله : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم .

وقوله : من تعلم علماً فليدقق ؛ لئلا يضيع دقيق العلم .

وقد روى المزي أنه قيل للشافعي : كيف شهوتك للأدب ؟

قال : أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسمعاً تتنعم
به مثلما تنعمت الأذنان !

قيل : وكيف حرصك عليه ؟

قال : حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال .

وقيل : وكيف طلبك له ؟

قال : طلب المرأة المضلة ولدها . وليس لها غيره .

وقوله : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة
حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري .

وقوله : المرء في العلم يقسى القلب ، ويورث الضغائن .

وقوله : من إذالة العلم أن تناظر كل من ناظر ، وتقاويل كل من
قآولك .

وقوله : كفى بالعلم فضيلة : أنه يدعيه من ليس فيه ويفرح إذا نسب إليه ،
وكفى بالجهل شراً أنه يتبرأ منه من هو فيه ويفض إذا نسب إليه .

وقال الشافعي لأبي علي بن مقلص : تريد أن تحفظ الحديث وتكون

مقيماً ؟ !

وإنما قال الشافعي ذلك لأن ابن مقلص كان كسائر الحفاظ الذين يشغلون أنفسهم بحفظ أبواب الحديث وسردها سرداً ، ولا يهتمون بحفظهم في استنباط ما فيها . ولقد قال الشافعي لإسحاق بن إبراهيم الحنظلي أثناء مذاكرة جرت بينهما : لو كنت أحفظ كما تحفظ لفلبت أهل الدنيا . وقال أحمد بن حنبل : قال لنا الشافعي رحمه الله : أنتم أعلم بالحديث مني ، فإذا صح عندكم الحديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقولوا لنا حتى نأخذ به . وقال الشافعي : ما رأيت أحفظ من الحميدي ، كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث . وقال الحميدي : صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه « المسائل » وكان يستفيد مني « الحديث » .

ثم ذكر البيهقي ما يستدل به على اجتهاد الشافعي في طاعة ربه ، وزهده في الدنيا ، وحضه الناس على هذا الزهد .

ومما جاء في ذلك قول الربيع : خرجت مع الشافعي من « القسطنطينية » إلى « الإسكندرية » مرابطاً ، وكان يصلي الصلوات الخمس في المسجد الجامع ، ثم يسير إلى المحرس فيستقبل البحر بوجهه جالساً يقرأ القرآن في الليل والنهار ، حتى أحصيت عاياه ستين ختمة في شهر رمضان .

وحكى الربيع أن عبد الله بن عبد الحكم قال للشافعي : إن عزمت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تعزز به . فقال له

الشافعي : يا أبا محمد ، من لم تعزّه التقوى فلا عزّ له ، ولقد ولدت بغزة ، ورُبِّيتُ بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعاً .

وقال له المزني : مالك بد من إمساك العصا ولست بضعيف ؟! فقال : لأذكر أني مسافر في الدنيا .

وقال الشافعي : خير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله على كل حال .
وقال للربيع : عليك بالزهد ، فلا زُهد على الزاهد أحسن من الحلّى على المرأة الناهد ! .

وذكر عند الشافعي فهم القلب فقال : من أحبّ أن يفتح الله له قلبه أو ينوره ، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه ، وترك الذنوب ، واجتناب المعاصي ، ويكون له فيما بينه وبين الله خبيّة من عمل ؛ فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره ، وإن في الموت وذكره لأكثر الشغل .

وفي هذا المعنى يقول أيضا : من أحبّ أن يفتح الله قلبه ويرزقه الحكمة — فعليه بالخلوة ، وقلة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب .

وقال الشافعي للربيع : لا تتكلم فيما لا يعينك ؛ فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها .

وقال ليونس بن عبد الأعلى : لو جهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سبيل إليه ، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيّتك لله عز وجل .

ثم ذكر البيهقي باب ما يستدل به على تمكن الشافعي من عقله ، وما يؤثر عنه من الآداب .

ذكر فيه من قول الشافعي هذه الكلمات :

- طبع ابن آدم على الاثم : فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد منه ، ويتباعد ممن يتقرب منه .
- سياسة الناس أشد من سياسة الدواب .
- إن للعقل حدا ينتهى إليه ، كما أن للبصر حدا ينتهى إليه .
- جوهر المرء في "خلال ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غنى ، وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راض ، وكتمان الشدة حتى يظن الناس أنك متنعّم .
- أظلم الظالمين لنفسه : من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فى مودة من لا ينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .
- إن الله خلقك حرا فكن كما خلقك .
- من سمع بأذنه صار حاكيا ، ومن أصفى بقلبه كان واعيا ، ومن وعظ بفعله كان هاديا .
- الكيس العاقل هو الفطن المتعافل .
- لو أن رجلا سوتى نفسه حتى صار مثل القدح ، لكان له فى الناس من يعانده .
- الحرية : هى الكرم والتقوى ، فإذا اجتمعا فى شخص فهو حر .
- لو أن رجلا تصوف من أول الفهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحق .
- لا يكون الصوفى صوفيا حتى يكون فيه إخصال أربع : كسول ، أكل ، نثوم ، كثير الفضول .
- ما دخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد منهم سنة صاحبه ، حتى إن العراقي ليأخذ من سنة الشامي ، والشامي من سنة العراقي .

- إنك لا تقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح ما بينك وبين الله ، فإذا أصححت ما بينك وبين الله ، فلا تبال بالناس .
- تنفقه قبل أن ترأس ، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه .
- أصحاب المروءات في جهد .
- التواضع من أخلاق الكرام ، والتكبر من شيم اللثام .
- من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان .
- التطفل في الحيلة أجدى من الوسيلة .
- ليس بعاقل من لم يأكل مع عدوه في غضارة ثلاثين سنة .
- الشفاعات زكاة المروءات .
- ترك العادة ذنب مستحدث .
- لا تشاور من ليس في بيته دقيق ، فإنه مدله العقل .
- الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فمكن بين المنقبض والمنبسط .
- ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدرى عنده بمقدار ما أكرمته به .
- عاشر كرام الناس تعش كريماً ، ولا تعاشر اللثام فتنسب إلى اللؤم .
- ألفت أربعين سنة أسأل إخواني الذين تزوجوا : عن أحوالهم في تزويجهم ؟ فما منهم أحد قال : إنه رأى خيراً !
- وقال سمعت بعض أصحابنا ممن أثق به قال :
- « تزوجت لأصون ديني فذهب ديني ودين أمي ودين جبراني !! » .

ثم ذكر البيهقي بابا فيما يستدل به على سخاوة الشافعي . وما أورده فيه قول أبي ثور : كان الشافعي من أجود الناس وأسخام كفا : كان يشتري الجارية الصنّاع التي تطبخ وتعمل الحلوى ، ويشترط عليها أن لا يقربها ؛ لأنه كان عليلا لم يمكنه أن يقرب النساء في وقته ذلك ، لباصور كان به . وكان يقول لنا : تشهوا ، ما أختبئتم ؛ فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون . فيقول لها بعض أصحابنا : اعملي اليوم كذا وكذا ، فكنا نحن الذين نأمرها ، وهو مسرور بذلك . وأورد البيهقي قول الربيع : قد سمعنا بالأسخياء ، قد كان عندنا قوم من الأسخياء بمصر وأهل الفضل رأيناهم ، ما رأينا مثل الشافعي . وكان الشافعي يقول : أهل اليمن فيهم السخاء ، وقال الحميدي : فأين سخاء أهل اليمن من سخاء الشافعي ؟ أولئك سخاؤهم من فضل معهم ، والشافعي يسخو بكل ماله . وقول البويطي : قدم علينا الشافعي مصر ، وكانت « زبيدة » ترسل إليه برزم الوشي والثياب ؛ فيقسمها الشافعي بين الناس .

ثم ذكر بابا في شهادة الأئمة للشافعي بالتقدم في العلم وثناهم عليه ، ودعائهم له . ومن الأقوال التي رواها في ذلك قول أحمد بن حنبل :

ما أعلم أحداً أعظم منّة على الإسلام ، في زمن الشافعي ، من الشافعي .

وما أحد مسّ بيده محبرة وقلما إلا وللشافعي في عنقه منّة . وما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من الشافعي . وكان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي وقيل لأحمد : إن « يحيى بن معين » و « أبا عبيد » لا يرضيان الشافعي وينسبانه إلى التشيع ! فقال : والله ما رأينا منه إلا خيرا ، ولا سمعنا إلا خيراً . واعلموا أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم وحرّمه قرناؤه وأشكاه

— حسدوه فرموه بما ليس فيه . وبئست الخصلة في أهل العلم !

وقال أبو ثور : مارأيت مثل الشافعي ، ولا رأى الشافعي مثل نفسه .

وقال الزعفراني : مارأيت مثل الشافعي أفضل ولا أكرم ولا أسخى ولا أبقى ولا أعلم منه ، ومارأيت له لحن قط . وكان يُقرأ عليه من كل الشعر فيعرفه .

وقال الحميدي : كان الشافعي سيد علماء أهل زمانه ، وربما ألقى على وعلى ابنه «أبي عثمان» المسألة فيقول : أيكما أصاب فله دينار !

وقال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم» يقول : ليس «أبو عبيد» عندنا بفقيه . فقالت له : ولم ؟ قال : لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار لنفسه منها قولاً . قلت : فمن الفقيه ؟ قال : الذي يستنبط أصلاً من كتاب أو سنة لم يسبق إليه ، ثم يُشعّب من ذلك الأصل مائة شعبة . قلت : ومن يتوى على هذا ؟ قال : محمد بن إدريس الشافعي . ثم روى البيهقي ما أثر عن الشافعي من لباسه وهيئته وخضابه ونقش خاتمه وما جاء في ذلك هذا النص الذي نقله من كتاب العاصمي عن الربيع قال :

كان الشافعي يجلس في حلقة إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن ، فإذا طلعت الشمس قاموا ، واستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية ، والعروض ، والنحو ، والشعر ، فلا يزالون إلى أن يقرب انتصاف النهار ، ثم ينصرف .

وكان يجدر بالبيهقي أن لا يذكر هذا النص في هذا الباب ، وإنما يذكره في باب آخر هو ألصق به كباب فضل العلم والترغيب في تعلمه وتعليمه .

وروى قول الربيع : كان الشافعي حسن الوجه ، وحسن الخلق ، محبباً إلى من كان بمصر — في وقته — من الفقهاء ، والأُمراء والنبلاء ؛ كلُّهم يحبُّ إلى الشافعي ويعظمه ويحبه . ولو رأيتُه وحسن ثيابه ، ونظافته ، وفصاحته لعمجبت منه .

وبعد أن ذكر وصية الشافعي ذكر مرضه ، ووفاته ، وتربته ، ومقدار سنِّه ، وأهله وأولاده ، ومن روى عنه من علماء الحجاز ، واليمن ، ومصر ، والعراق ، وخراسان .

ثم ذكر أصحابه الذين حملوا عنه علماً ، أو رَوَوْا عنه حديثاً ، أو حكموا عنه حكاية .

وجعل البيهقي « الباب الأخير » من كتابه في ذكر من قعد في مجلسه الشافعي بعد وفاته ، ومن قام من أصحابه بنشر علمه .

ومن أهم الحقائق التي يحتويها هذا الباب ، ما جاء فيه عن أبي عبد الله الهروي أنه قال : سمعت أبا زرعة الدمشقي ، وقلت له : ما أكثر جل « المزني » على الشافعي ؟ ! فقال : لا تنقل هكذا ، ولكن قل : ما أكثر ظلمه للشافعي ؟ !

وقد روى البيهقي هذا للنص عن أستاذه : أبي عبد الرحمن السلمي ، ووقعه بأنه قال : وهكذا قرأته في كتاب العاصمي . ثم عقب عليه البيهقي بقوله : وما أحسن مقال أبو زرعة . وظلم « المزني » للشافعي يتجلى في شيئين : أحدهما : أنه كان صبيهاً ضعيفاً ، فربما وجد في كتاب الشافعي مسألة قد سقط منها بعض شرائطها — وهي في رواية حرمة الربيع صحيحة — فنقلها على ما في كتابه ، ثم أخذ في الطعن على الشافعي . وكان من سبيله أن ينظر كتب أصحاب الشافعي حتى يتبين له خطؤه في الكتابة ، أو خطأ من كتب كتابه فيستغني عن الاعتراض .

والآخر أنه وجد الشافعي ذكر مسألة في موضعين ، اختصرها في أحدهما ،
وذكرها مستوفاة شرائطها في الموضع الآخر - فنقلها المزني مختصرة ، ثم اشتغل
بالاعتراض عليها ، ولو نقلها من الموضع الآخر مقيدة بشرائطها استغنى عن
الاعتراض .

ومثال كل واحد من هذين النوعين عندي فيما رددته من كلام الشافعي
إلى ترتيب المختصر ، وإيراده هنا بما يطول به الكتاب .

وعمل شيئاً آخر وهو أن كل كتاب صنفه الشافعي ورتب له ترتيباً حسناً
ترك « المزني » ترتيبه ، وقدم وأخر ، كالجمعة والجنائز وغيرها .

وقد يذكر الشافعي مسألة في موضعين بعبارتين ، فينقل « المزني » تلك المسألة
بعضها بعبارته في أحد الموضعين ، والثاني بعبارته في الموضع الآخر ؛ كيلا يهتدى
إلى كيفية نقله أو نقلها - على ترتيبه فيما رتبته - وعلى عبارته في أحد الموضعين
كان أحسن وأبين .

فهذا وجه جواب أبي زرعة .

والذي راعى « المزني » من حق الشافعي في جمع ما تفرق من كلامه ، واختصاره
مابسط من قوله ، وتقريبه على من أراده ، وتسهيله على من قصده من أهل
الشرق والغرب - أكثر ، وفائده أعم وأظهر ؛ فلا أعلم كتاباً صنف في
الإسلام أعظم بركة ، وأعم نفعاً ، وأكثر ثمرة من كتابه .

والذي يلوح لي أن عذر « المزني » فيما كان منه من وهم في اختصار ما لم الشافعي :
أنه لم يكن من قوة التهم ، وسرعة الإدراك بحيث يدرك منازع الشافعي في كلامه

وقد اعترف «الزنى» بذلك حيث يقول : «لو كنا نفهم عن الشافعى كل ما يقول
لأتيناكم عنه بصنوف العلم ، ولكن لم نكن نفهم ، فقصرنا ، وعاجله الموت » .
وقد مكث الزنى - فى تأليف مختصره هذا - عشرين سنة ، وألفه ثلاث
مرات ، يغير فيه ويبدل .

* * *

وإن كتاب المناقب هذا يعد من أعظم كتب التراجم ، وأحفظها بالفائدة ،
وأقربها سبيلا إلى الغاية من الترجمة ، يقرؤه القارئ الواعى ، فيخرج منه بصورة
متكاملة للشافعى العالم المفسر ، الفقيه المحدث ، الأديب الشاعر ، والإنسان العربى
الأبى الذى يحرص على الكرامة والحرية والمروءة ومكارم الأخلاق ، والجواد
السخى الذى يبذل ماله ، طيب النفس ببذله ، والعالم الكريم الذى كان يود
من سويدهاء قلبه أن يتعلم الخلق علمه ، وأن لا ينسبوا إليه شيئا منه !

وتلك مكانة سامية لا يرقى إليها إلا أفئدة العلماء الذين قهروا أهواءهم ،
وقدعوا نفوسهم عن حب الشهرة ، وآمنوا بأن نشرهم لهمهم إنما هو الشكر
لربهم الذى علمهم ما لم يكونوا يعلمون .

وما أريد أن أسترسل فى ذكر ألوان عظمة الشافعى التى تجتلى من هذا
الكتاب فإن فيما رواه البيهقى من « داود بن على الظاهرى » غنية عن ذلك
برأى أقوال داود - تلك - من أهم ما اشتمل عليه كتاب المناقب .

قال داود :

« اجتمع للشافعى من الفضائل ما لم يجتمع لغيره :

قأول ذلك : شرف نسبه ومنصبه ، وأنه من رسل النبي ، صلى الله عليه وسلم .

منها : صحة الدين ، وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع .

ومنها : حفظه لكتاب ربه ومعرفته به ، وجمعه لسنن النبي ، ومعرفته بالواجب منها من النذب ، ومعرفته بناسخ القرآن من منسوخه ، والعام منه والخاص ، ثم معرفته بسيرة هدى نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وأئمة الهدى بعده ، ومغازي رسول الله أو خلفائه ، وتركه تقليد أهل بلده ، وإيثاره ما دل عليه كتاب ربه ، وثبت عن نبيه .

ثم ما كشف من تمويه المخالفين ، وما أبطل من زخرفهم ، بالحق الذي قذف به على باطلهم فيدمغه .

ثم ما بين من الحق الذي سهل — بتوفيق خالقه — معرفته ، حتى استطال به من لم يكن يميز بين ظلام وضياء ، وألقوا الكتب ، وناظروا المخالفين .

ومنها : ما من الله عليه من منطقته الذي طبع عليه ، وكان يعترف له به كل من شاهده ويقر بتقصيره عن بلوغ أدنى ما من الله به عليه منه .

ومنما : ما وقاه الله من شح النفس الموجب له الفلاح .

وما علمت أحدا في عصره كان آمن على أهل الإسلام منه ، لما نشر من الحق ، وقمع من الباطل وأظهر من الحجج ، وعلم من الخير .

وقد تكفل كتاب المناقب — هذا — بتفصيل هذه الأوصاف الجليلة

المستطابة ، التي تدل على إدراك حقيقى لفضائل الشافعى ، وبصر دقيق بمجوانبها
الكثيرة .

* * *

وهناك أمر آخر تفرد به كتاب المناقب لا مناص من ذكره والإفاضة
فى تبينه ، لأهميته القصوى فى دفع فرية افتريت على الشافعى قديما وحديثا ، وهى
أن الشافعى لم يؤلف كتاب الأم .

وقد ألف الدكتور زكى مبارك كتابا فى ذلك جعل عنوانه : « إصلاح
أشنع خطأ فى تاريخ التشريع الإسلامى : كتاب الأم لم يؤلفه الشافعى وإنما ألفه
البويطى وتصرف فيه الربيع بن سليمان » .

وكان الذى هداه إلى تصحيح هذه الفلطة - كما يقول - كلمة قرأها فى
كتاب « الإحياء » للغزالي يقول فيها :

« وآثر البويطى الزهد والخمول ، ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة ،
فاشتغل بالعبادة ، وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان
ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ، ولكن لم يذكر نفسه فيه ، ولم ينسبه إلى
نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف » اهـ .

وكلمة الغزالي - هذه - ليست من بنات فكره ، ولا من ثمرات
بحمه ، وإنما نقلها نقلا عن كتاب « قوت القلوب » لأبى طالب المكي المتوفى سنة
٣٨٦ فقد جاء فى هذا الكتاب ٤/ ١٣٥ :

« وأخل البويطى نفسه ، واعتزل عن الناس بالبويطة ، من سواد مصر

وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ، ويعرف به ،
ولأنما هو جمع البويطى ، لم يذكر نفسه فيه ، وأخرجه إلى الربيع فزاد فيه ،
وأظهره وسمعه منه « ١ »

وقدر جرح الدكتور زكى مبارك أن الأم وضع بعد وفاة الشافعى ، لأنه
ليس له مقدمة (!!!) .

ولأنه لا تمضى فصوله على وتيرة واحدة ، ففي أحيان كثيرة تجرى عبارة :
« قال الشافعى » . وفي بعض الأحيان ، حدثنا الربيع بن سليمان قال :
أخبرنا الشافعى — إملاء — وفي بعضها : سألت الشافعى فقال .

ونجىء في الأم أحيانا عبارة : قال الشافعى كذا ، فقلت له كذا (١) .

وللربيع تعليقات كثيرة في التعقيب على كلام الشافعى (١) .

ويتفق المؤلف أحيانا أن يذكر المصدر الذى نقل عنه فيقول — مثلا
(١٤٦/٧) : « هذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » (١) .

وعرض المؤلف فى باب الوصايا لوصية الشافعى فقال : هذا كتاب كتبه
محمد بن إدريس الشافعى فى شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وعنوانه بعبارة :
الوصية التى صدرت من الشافعى . وإذا تذكرنا أن الشافعى مات سنة أربع
ومائتين ، عرفنا أن كتاب وصيته أثبت فى الكتاب بعد وفاته (!) .

وجاء فى كتاب الأم (٩٣/٢) مانصه : « أخبرنا الربيع بن سليمان المرادى
بمصر سنة سبع ومائتين ، قال : أخبرنا الشافعى »

« وكلمة « بمصر » تدل على أن المؤلف كان مشغولاً بجمع مواد الكتاب في مكان غير مصر — أعني غير العاصمة — وكلمة المكي والغزالي تعين أنه كان في بويط » (١١١) .

وقد وقع الدكتور هنا في خطأ طريف ، غير الخطأ الأساسي في نفي الأم عن الشافعي ، فكلمة « مصر » لا يراد بها العاصمة في هذا النص ، لأن ذلك خطأ محض ، وعاصمة مصر في تلك الحقبة من الزمان كانت « القسطنطينية » ثم هي لا تدل على أن المؤلف كان مشغولاً بجمع مواد كتابه في غير العاصمة ، والمضحك حقاً أن يقول الدكتور : وكلمة المكي والغزالي تعين أنه كان في بويط !!

والعبارة — كما جاءت في الأم — لا تدل على أكثر من أن راوى الكتاب عن الربيع يقول : إن الربيع حدثه بمصر في تلك السنة ، ولا مداخل للبويطي ، ولا لجمعه مواد الكتاب ، في هذا النص على الإطلاق . ورحم الله الشافعي إذ يقول : « وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه ، لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

* * *

وأما استدلاله بوجود وصية الشافعي في الأم على أنها أثبتت فيه بعد وفاة الشافعي — فغير مسلم له . ولست أدري كيف قال هذا وليس في النص ما يشير إليه من قريب أو بعيد . جاء في الأم ٤/٤٨ تحت عنوان : الوصية التي صدرت من الشافعي : « قال الربيع بن سليمان : هذا كتاب كتبه محمد بن إدريس الشافعي ، في شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وأشهد الله عالم خائنة الأعين وما تخفي

الصدور — وكفى بالله جل ثناؤه شهيداً — ثم من سمعه : أنه شهد أن لا إله إلا الله . . إلى آخر الوصية .

وأكبر ظني أن أصل الكلام : قال الربيع بن سليمان : قول الشافعي : هذا كتاب كتبه الخ لأن أول وصية الشافعي كلمة « هذا » ويؤيد ذلك ما رواه البيهقي في المناقب عن الربيع أنه قال : قرىء على محمد بن إدريس الشافعي ، رحمه الله ، وأنا حاضر : هذا كتاب . . الخ .

وهذا النص يدل على أن كتاب وصية الشافعي هو الذي قرىء عليه بحضور الربيع . ومعلوم أن كتاب « الوصايا » الذي سجل الشافعي فيه وصيته لم يسمعه الربيع ولا غيره من الشافعي ، في حين أنه كان مكتوباً كله بخط الشافعي . وآية ذلك قول الربيع ، كما جاء في الأم ١٨/٤ « كتبنا هذا الكتاب من نسخة الشافعي — من خطه بيده ، ولم نسمعه منه » وقول المزني في مختصره بهامش الأم ١٥٩/٣ « كتاب الوصايا مما وضعه الشافعي بخطه ، لا أعلمه سمع منه » .

وكتاب الوصايا قد ألفه الشافعي في العام الذي توفي فيه ، لأنه كتب وصيته في شعبان سنة ٢٠٣ ومات في شعبان سنة ٢٠٤ . وما الذي يمنع عقلاً من أن يكتب الشافعي وصيته في كتابه ، حتى يقول الدكتور زكي مبارك : إنها أثبتت فيه بعد وفاة الشافعي ، ليثبت بذلك أنه ليس من تأليف الشافعي 1؟

ولقد كتب الشافعي كتاب صدقته كذلك في العام التي توفي فيه . جاء في الأم ١٧٩/٦ تحت عنوان : « صدقة الشافعي » : « هذا كتاب كتبه محمد ابن إدريس الشافعي في صحة منه وجواز من أمره ، وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين . . . »

أما قول الدكتور : « إن المؤلف يذكر أحيانا المصدر الذى نقل عنه » .
فيقول مثلا ١٤٦/٧ : وهذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » فإنه خطأ محض من
جهتين :

الأولى : أن هذا القول المذكور فى هذا الجزء وفى هذه الصفحة ليس من
كتاب الأم وإنما هو من كتاب مستقل ألفه الشافعى ، وهو « كتاب اختلاف
العراقيين » فلا استشهاد بهذا النص لا يصح .

والجهة الثانية : أن المؤلف المزعوم أو الحقيقى لم يقصد من هذه العبارة
وأما لما ذكر المصدر الذى نقل عنه ، وإنما قصد بيان الكتاب الذى فصل فيه
القول فى الموضوع الذى أجمل ذكره قبل هذه العبارة . ولنتظر كيف قال المؤلف
العبارة التى مثل بها الدكتور : جاء فى الأم ١٤٦/٧ « قال الشافعى ، رحمه الله :
وإذا حلف الرجل لا يوطأ امرأته أربعة أشهر أو أقل - لم يقيم عليه حكم الإيلاء ،
لأن حكم الإيلاء إنما يكون بعد مضي الأربعة الأشهر . فيوم يكون حكم الإيلاء .
يكون الزوج لا يمين عليه . وإذا لم يكن عليه يمين فليس عليه حكم الإيلاء .
وهذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » .

ويريد الشافعى بالعبارة الأخيرة أن يرشد قارى كتابه اختلاف العراقيين
إلى الكتاب الذى فصل فيه القول من كتب الأم ، وهو كتاب الإيلاء
الذى يقع فى الجزء الخامس ، والمسألة التى يعنىها فيه ص ٢٥٤ .

وجاء فى صفحة ١٤٦ أيضاً هذا النص من كتاب اختلاف العراقيين .
« قال الشافعى ، رحمه الله : وإذا ارتد الرجل عن الإسلام ، فنكاح امرأته
موقوف . فإن رجع إلى الإسلام قبل أن تنقضى عدتها - فهما على النكاح

الأول . وإن انقضت عدتها قبل رجوعه إلى الإسلام — فقد بانت منه .
والبينونة فسخ لا طلاق . وإن رجع إلى الإسلام فخطبها — لم يكن هذا طلاقا .
وهذا مكتوب في كتاب المرتد » .

وكتاب المرتد من كتب الأم ، والمشار إليه فيه ١٤٩/٦ - ١٥٠ .

وقد أشار الشافعي في كتاب « اختلاف العراقيين » هذا إلى تسعة كتب
من كتب الأم نجتزئ منها بهاتين الإشارتين : قال في ص ١١٦ : « وقد
كتبنا هذا في كتاب الأقضية » .

وقال في ص ١٢٣ : « وهذا مكتوب في كتاب العتق بحججه ،
إلا أنا وجدنا في هذا الكتاب زيادة حرف لم نسمع به في حججهم » .

* * *

ونذر الدكتور « زكي مبارك » ونأتى إلى الدكتور « أحمد أمين » الذي
قال في كتابه ضحى الإسلام ٢/٢٣٠ : « وقد ثار الخلاف حديثا في مصر :
هل الأم كتاب ألفه الشافعي ، أو ألفه البويطي ؟ وأظن أنه لو حدد موضع
النزاع في دقة ، لكان الأمر أسهل حلا ؛ فليس يستطيع أحد أن يقول : إن ما بين
حقي الكتاب الذي بين أيدينا هو من تأليف الشافعي ، وأنه عكف على كتابته
وتأليفه في هذا الوضع النهائي (III) »

وأهم دليل على ذلك أن مطلع كثير من الفصول : العبارة الآتية : « أخبرنا
الربيع ، قال : قال الشافعي » وهي عبارة لا يمكن أن يكتبها الشافعي وهو مؤلف
الكتاب (III)

وفي ثنايا الكتاب نجد أخباراً بمدلول الشافعي عن هذا الرأي . كأن يجرى
في سير الكلام ٢٣/٣ « قال الربيع : قد رجع الشافعي عن خيار الرؤية ، وقال :
لا يجوز خيار الرؤية » وبحال أن تصدر من الشافعي هذه العبارة وأمثالها .
كما لا يستطيع أحد أن ينكر أن في الأم مذهب الشافعي بقوله وعبارته .
فالظاهر أنها أمال أملاها الشافعي في حلقته ، كتبها عنه تلاميذه ، وأدخلوا
عليها تعليقات من عندهم ، واختلفت روايتهم بعض الاختلاف . والذي بين
أيدينا منها رواية الربيع المرادى عن الشافعي .

* * *

ماذا أقول في نقد هذا الكلام المدخول ، الذي تزور عنه المقول ؟ ولست
أدرى كيف طوعت للدكتور نفسه أن يقول : إنه لا يستطيع أحد أن يقول إنه
« الأم » من تأليف الشافعي ؛ لأن في مطالع فصوله عبارة لا يمكن أن تخطها
يمين الشافعي أثناء تأليفه له ، وهي عبارة : « أخبرنا الربيع ، قال : قال الشافعي .
ولأنه تردد في ثناياه عبارة أخرى ، بحال أن تصدر من الشافعي وهي عبارة :
« قال الربيع » !!!

ولست أرتاب في أن « أهم دليل » لدى الدكتور لا يقبله من له أدنى إلمام
بالكتب القديمة ، وطريقة الأقدمين في روايتها ، وكل من قرأ فيها يعلم علم اليقين
أن وجود عبارة « أخبرنا الربيع قال : قال الشافعي » في أول الكتاب أو في داخله
مرة أو مرات - دليل ناصع على أنه من تأليف الشافعي ، وأن هذه النسبة قد ازدادت
وثاقة ومقانة برواية الربيع عن الشافعي ، ثم برواية تلميذ الربيع عن الربيع .
ثم برواية تلميذ التلميذ . إن وجدت ، وهـكذا إلى آخر سلسلة رواة الكتاب

عن مؤلفه . وهي أوثق طرق التوثيق والتأكد من نسبة الكتاب المروى إلى من وضعه .

وهذه من الحقائق الأولية والمسائل البسيطة التي لا تخفى على أبسط القراء ، فمن العجب للعجب أن تكون سببا للارتباك في الكتاب ، ودليلاها على نفيه عن مؤلفه ؛ لأنه « لا يمكن أن يكتبها الشافعي وهو يؤلف الكتاب » !!!

ولو اتخذنا هذا الدليل الهام عند الدكتورين : زكي مبارك وأحمد أمين ، وجعلناه معياراً في نظرنا إلى الكتب العربية في القرون الأولى لفينا أكثرها عن أصحابها .

ولو نظرنا كذلك في ضوء هذا الدليل إلى سائر كتب الشافعي التي أفردنا عن مجموعة « الأم » لقلنا : إنها ليست من مؤلفات الشافعي ، ولناخذ منها مثلاً واحداً وهو كتاب « اختلاف الحديث » وهو كتاب كتبه الشافعي ، وجعل له مقدمة طويلة ، وقد سجل فيه أنه من تأليفه وكتابه ، ومما قاله : « وقد وصفت في كتابي هذا - الموضع التي غلط فيها بعض من عجل بالكلام في العلم قبل خبرته » ومنها : « فحكيت ما كتبت في صدر كتابي هذا ... » ومنها : « وقد اختصرت من تمثيل ما يدل للكتاب على أنه نزل من الأحكام عاماً أريد به للعام . وكتبته في كتاب غير هذا . . . وكتبت في هذا الكتاب بما نزل عام الظاهر ، مادل للكتاب على أن الله أراد به الخاص . . . »

ولإذا نظرنا في أوائل أبواب « اختلاف الحديث » رأينا أكثرها قد بدى بعبارة : « حدثنا الربيع . . . » وباقيها القليل قد بدى بعبارة « حدثنا الشافعي »

أو « قال الشافعي » فهل ننفي هذا الكتاب عن الشافعي ، أو نتبع سبيل العلم ونقول : إنه من تأليفه ومن رواية الربيع عنه ، ونبحث عن الراوي الأول الذي قال : حدثنا الربيع ؟ لنعلم أنه « أبو بكر : أحمد بن عبد الله السجستاني » تلميذ الربيع .

وما أكثر تلاميذ الربيع من أهل المشرق والمغرب الذين شدوا رحالهم إلى مصر - وليست العاصمة - ليرووا عنه كتب الشافعي الذي قال له : « أنت راوية كتبتي » وقد لبث الربيع بعد موت الشافعي ستا وستين سنة يدرس كتب الشافعي ، ويمليها على تلاميذه ، ويعقب على بعض أقوال الشافعي بما يعن له أثناء الإملاء . والطلاب من حوله يكتبون كل ما يقول من قول الشافعي ومن قول نفسه في التعقيب على بعض قول الشافعي .

وهذا هو التفسير الصحيح لوجود : « قال الربيع » في ثنايا كتب الشافعي . ومنها عبارة « قال الربيع : قد رجع الشافعي عن خيار الرؤية ، وقال لا يجوز خيار الرؤية » التي نقلها الدكتور أحمد أمين وعقب عليها بقوله : « ومحال أن تصدر من الشافعي هذه العبارة وأمثالها » .

وهل قال أحد ممن يثبتون الكتاب للشافعي : إن حدثنا الربيع ، في مطالع فصوله ، و « قل الربيع » في ثناياه مما خطته يد الشافعي في الأم حتى يقول الدكتور : إنه من غير الممكن أن يكتب الجملة الأولى وهو يؤلف الكتاب ، ومن المحال أن تصدر عنه كذلك الجملة الثانية ، ثم يتخذ من هذه وتلك دليلا بالغ الأهمية على أن الشافعي لم يؤلف كتاب الأم ؟ !

ومن قبل ذلك يقول في ثقة مطلقة وجراءة بالغة : ليس يستطيع أحد أن

يقول إن الشافعى قد عكف على كتابة الأم ، وألفه فى هذا الوضع النهائى لالشيء .
إلا لأن فى أوائل الكلام : « حدثنا الربيع » وفى خلاله : « قال الربيع » !
ولو قد قرأ الدكتور كتاب الأم حقاً لآلنى فى أطوائه كثيراً من الأدلة
على أنه له ومن وضعه ، ولمنعه تلك الأدلة من تقليد الدكتور زكى مبارك ،
الذى تلقف كلمة الغزالى التى نقلها دون تعقل أو إداراك — عن أبى طالب المكي ،
ذلك الصوفى السالى الذى شطاح ونطح وأخرج تلك الكلمة الخبيثة الخاملة التى
قالها عن خمول البويطى وتأليفه للأم ومنعه للربيع الذى سارع إلى نسبته له
دون أن يردعه عن ذلك الفعل الشائن رادع من حياء أو زاجر من ورع .

وحاشا للربيع ، الثقة الأمين ، ذى الدين الثخين والورع المسكين — أن
يقدم على ارتكاب تلك الحماقة التى تلوث شرفه ، وتسمه بمسيم الضمة والهوان .

ومن الجدير بالذكر أن قول أبى طالب المكي وقول الغزالى — إن صح
تسميته قولاً — قد ظل رهين كتابيهما ، لم يفعله أحد ولم يعرض له عالم بتقريظ
أو توهين إلى أن جاء الدكتور زكى مبارك فنفتح فيه من تمويهه وتلبيسه حتى
غرت به أقواماً فتبعوه وتقلدوه وفى مقدمتهم الدكتور أحمد أمين والمستشرق
بروكلمان .

وكان من قدر الله لإظهار الحق المبين فى هذه المسألة : أن البيهقى قد نقل
فى مناقب الشافعى عن الربيع أنه قال : إن الشافعى قد ألف بمصر كتاب الأم
فى ألنى ورقة . وهو قول عظيم يلقف ماصنع المنكرون ، ويدحض أقوالهم
ويمحق باطلهم الذى جاؤا به من عند أنفسهم بغير الحق ، أو تقليداً دون
دون حجة قاطعة ، أو برهان ناهض .

وإني مورد نص البيهقي بسنده ؛ ليكون القارىء على بينة من أمره .
قال البيهقي ٢٩١/٣ : « قرأت في كتاب أبي الحسن العاصمي ، رحمه الله ، عن
الزبير بن عبد الواحد ، قال : حدثني محمد بن سعيد ، قال : حدثنا القرباني -
يعني أبا سعيد - قال :

قال الربيع بن سليمان : أقام الشافعي هاهنا أربع سنين ، فأملى ألبا وخمسة
ورقة .

وخرج كتاب « الأم » أثنى ورقة .

وكتاب السنن ، وأشياء كثيرة ، كلها في أربع سنين .
وما أظن المنكرين وتابعيهم بغير إحسان يجادلون البيهقي فيما قرأ وروى
أو يمارون الربيع فيما شهد ورأى .

وأى شهادة أكبر عند العقلاء من شهادة الربيع بأن الشافعي هو الذي
ألف كتاب الأم كله ، وأنه سطره في أثنى ورقة ؟

ولقد أحسن البيهقي صنعا في سرده لأسماء الكتب التي اشتمل عليها « الأم »
٢٥٤-٥٤٧/١ وصدر سرده بقوله : « ومن الكتب التي هي مصنفة في الفروع ،
وهي التي تعرف بالأم »

وتسمية البيهقي لأسماء « كتب الأم » لها خطرها وقدرها ، ولا مناص من
تصديقه فيما قال ؛ لأنه رجل جمع كتب الشافعي وأتقن حياته في درسها وترتيبها
وتصنيفها ، والانتصار لحديثها ، ونشرها بين الناس ، واتخاذها أساسا لمصنفاته
حتى بالغ إمام الحرمين في قوله عنه : « ما من شافعي إلا وللشافعي في عتقه منة

إلا البيهقي ؛ فإن له على الشافعي منة اتصانيفه في نصرته مذهبه وأقاويله .
ولو لم يكن في نشر كتاب « مناقب الشافعي » إلا هذه الفائدة الخاصة
بكتاب الأم - لكان ذلك مغنا عظيما يضع الصواب في نصابه ، ويرد الحق
لأصحابه ، فكيف وقد اشتمل على فوائد لا تحصى تتعاقب بحياة الشافعي الخاصة
والعامة ، وحياة أهله وصحبه وتلاميذه ، وتضمن فوق ذلك دقائق علم الشافعي
في التفسير والحديث والفقه ، واللغة والأدب ، وغير ذلك .

* * *

ولقد كان « مناقب الشافعي » للبيهقي المصدر الأول لكل من أتى بعده ،
وترجم لشافعي بترجمة مفردة أو غير مفردة .

ومن اعتمد عليه ، وأكثر من النقل عنه : ياقوت الرومي في معجم الأدباء ،
وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن كثير في كتابيه : طبقات الشافعيين ، والبداية
والنهاية ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ، ونفح الدين الرازي في مناقب
الشافعي ، والسبكي في طبقات الشافعية . وغيرهم كثير .

وقد خلص ابن حجر أكثر فصوله في كتابه « توالي التأسيس » بمعالي
ابن إدريس ، وقال في مقدمة هذا الكتاب : « إن البيهقي صنع الكتاب
المناقب ذبلا » .

ولم أر من ذكر ذيل المناقب هذا بأى لون من ألوان الذكر . ولا يتخالجنى
ريب في أن ابن حجر يقصد بهذا الذيل كتاب « نوارد الحكايات عن
الشافعي » الذي ذكره البيهقي في المناقب حيث يقول ١٤٢/١ « . . . » وقد
أخرجته في « نوارد الحكايات » في آخر الكتاب .

وذكره أيضا بقوله ٣٦٨/٢ « وله حكايات لم يتفق إخراجها في كتاب
« المناقب » وأخرجتها في جزء » .

و « نوادر الحكايات » هذا هو التالى في النشر لكتاب المناقب ،
إن شاء الله ذلك وقد تره .

* * *

وقد اعتمدت في نشر المناقب على ثلاث نسخ :

النسخة الأولى ورمزها (ا) كتبها « أحمد بن عبد الخالق بن محمد بن
عبد الله بن أبي هشام ، القرشى ، الشافعى ، الدمشقى » وكان فراغه من كتابتها
في اليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الأول ، سنة أربع وتسعين وخمسة
وهى نسخة كبيرة الخط ، حسنة النص ، وعدد أوراقها ٢٣٤ ورقة .

والنسخة الثانية ، ورمزها (ح) كتبها « معمر بن يحيى بن أبي الخير بن
عبد الغنى ، المسكى ، المالكى » وقد أنهى كتابتها في عصر الجمعة الثالث من
شهر ربيع الآخر ، من شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .

وقد قوبلت في تسعة وعشرين مجلسا .

وجاء في هامش الورقة الأخيرة : « بلغ مقابلة في المجلس التاسع والعشرين ،
في شعبان عام ثلاثة وسبعين وثمانمائة ، بالمسجد الحرام ، على غير أصل » وعده
أوراقها ١٧٦ ورقة ، وخطها دقيق ، واسكنها في جملتها أصح من النسخة الأولى .

والنسخة الثالثة ، ورمزها (هـ) وليس فيها ما يدل على اسم ناسخها
ولا على تاريخ نسخها ، بيد أنه جاء على الصفحة الأولى منها عبارتان : الأولى

فوق العنوان ، والثانية تحتها ، ونص الأولى : « من كتب حجبى الحسابى »
ونص الثانية : « من كتب يحبى بن حجبى الشافعى » .

والأول هو : حجبى بن موسى بن أحمد السعدى ، الحسابى ، الشافعى ،
فقيه الشام ومحدثها . ولد سنة ٧٢١ وتوفى سنة ٧٨٢

والثانى هو : يحبى بن محمد بن عمر بن حجبى بن موسى بن أحمد السعدى
الحسابى ، الدمشقى ، المعروف بابن حجبى .

ولد بدمشق سنة ٨٣٨ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٨٨ وصلى عليه بالأزهر
ودفن بالقرب من ضريح الشافعى .

وهذه النسخة جميلة الخط ، حسنة التنسيق ، ولكنها أقل النسخ شأنًا ،
وأخفها وزناً ؛ لكثرة ما فيها من تصحيف وتحريف ، ولذلك لم أثبت فروقها ،
لأنه لا جدوى من إثباتها إلا زيادة حجم الكتاب

وهذه النسخ الثلاث مصورة عن أصولها المحفوظة فى مكتبة أحمد الثالث
بتركيا . وأرقامها حسب توالى ذكرها ٢٧٠ حديث ، ٨١٩ ، ٧١٨ .

ولأنه لطيب لى بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر الجزيل لجميع القائمين على
شئون المكتبات فى تركيا ؛ لحسن عنايتهم بما أطلب تصويره .

وأرجو أن تظل معونتهم شاملة لجميع الباحثين ، وأن لا يصر فهم عنها
ما يفعله بعض السفهاء هنا أو هناك ، كما حدث أخيراً ؛ فإن وضع العوائق أمام
الراغبين فى تصوير لكتب أسرى مجافى سنن العلم ، وينافى مواجب الأخوة ،
ولا ينبغي لكرامة الدولة .

وما إخالهم إلا عادلين إلى ما كانوا عليه من معونة العلماء وتلبية طلباتهم

أُنِّي كانوا من أرض الله . وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه ، وجمع قلوبنا على حب
تراثنا والتعاون على نشره على أساس علمي قويم :

* * *

ولعل من طرائف المواقف : أن أكتب مقدمة مناقب الشافعي في آخر شهر
رجب من سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى ، صلى الله
عليه وسلم ، وقد كانت وفاة الشافعي في آخر يوم من شهر رجب سنة أربع
ومائتين .

فليكن عمل في هذا الكتاب تحية متواضعة للشافعي ، في ذكرى
سور ألف ومائة وسبع وثمانين سنة على وفاته .

طوبى الله ثراه ، وتقبل عنه أحسن ما عمل ، كفاء ما بذل من وقت وجهد
في قه الكتاب ، ونصر السنة ، وتجليتها للناس في أسلوب بارع ، وحوار
رائع ، يبهر العقول ، ويسحر النفوس ، ويهدي إلى سواء الصراط .

القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ من رجب ١٤٩١ هـ
٢٠ من سبتمبر ١٩٧١ م

المعيد أحمد صقر

البیهقی فی سطور

- هو أبو بكر : أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البیهقی^(١).
- ولد في شعبان سنة ٣٨٤ في « خُسْرُو جَرْد » إحدى قرى « بیهق » بنواحى « نيسابور ».
- مات في جمادى الأولى سنة ٤٥٨ .
- أول سماعه للعلم سنة ٣٩٩ .
- رحل إلى العراق والجلال والحجاز .
- كان ورعا زاهداً تقياً ، تابع الصيام مدة ثلاثين سنة .
- تلمذ على طائفة من العلماء من أشهرهم الحاكم (٣٢١ - ٤٠٥) مؤلف المستدرک على الصححین . وابن فورك الأصبهانی ، المتوفى سنة ٤٠٦ وأبو عبد الرحمن السلى (٣٠٣ - ٤١٢) وأبو منصور البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ وأبو محمد الجوينى ، المتوفى سنة ٤٣٨ .
- تلمذ عليه جماعة من أشهرهم : أبو عبد الله الفراوى (٤٤١ - ٥٣٠) ، وقد روى عنه كثيراً من كتبه ومنها « مناقب الشافعى »
- ومنهم ابنه : إسماعيل بن أحمد البیهقی ، المتوفى سنة ٥٠٧ . وحفيده : عبيد الله بن محمد بن أحمد البیهقی ، المتوفى سنة ٥٢٣ . وأبو المظفر القشیری (٤٤٥ - ٥٣٢) وهو من رواة كتاب المناقب .
- ألف كتباً كثيرة ، طبع منها : السنن الکبرى ، وأحكام القرآن ، والأسماء

(١) ترجمت له في مقدمة كتاب معرفة السنن والآثار .

والصفات ، والاعتقاد ، والقراءة خاف الإمام ، وحياة الانبياء في قبورهم ،
ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، صلى الله عليه وسلم ،
ومعرفة السنن والآثار .

• قال عنه الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨) : « قلّ من جود تواليفه مثل الإمام أبي

بكر البيهقي ، فتصانيفه عظيمة القدر ، فينبغي للعالم أن يعتنى بها)

• قال النووي : (٦٣١ - ٦٧٦) : « المصنفات في مناقب البيهقي كثيرة ،

ومن أحسنها وأثبتها كتاب البيهقي ، وهو مجلدان ضخمان ، مشتملان على

نقائس من كل فن ، استوعب فيهما معظم أحواله ومناقبه ، بالأسانيد

الصحيحة ، والدلائل الصريحة »